

السَّوَالِ الْأَعْظَمُ مُحَمَّدًا ﷺ  
فِي خُطْبِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

Greatest Messenger Muhammad in the Sermons of  
the Road of Eloquence

أ.د. هاشم جعفر حسين الموسوي

م.م. طيبة أدریس طارق

Prof. Dr. Hashim Ja`afr Hussein Al-Moosawi  
Asst. Lectur. Teiba Idrees Tarq

الرسول الأعظم محمد ﷺ

في خطب نهج البلاغة

Greatest Messenger Muhammad in the  
Sermons of the Road of Eloquence

أ.د. هاشم جعفر حسين الموسوي  
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Hashim Ja`afr Hussein Al-Moosawi  
University of Babylon / College of Humanist  
Sciences / Department of Arabic

م.م. طيبة أدریس طارق  
كلية الإمام الكاظم عليه السلام \_ اقسام بابل / قسم علوم القرآن  
Asst. Lectur.Teiba Idrees Tarq  
College of Imam Al-Kadhim \_ Babylon  
Departments / Department of Quranic Sciences

hashimjaafar5@gmail.com  
teebaidrees@gmail.com

تاريخ التسليم: ٢٠١٩/٣/٢٤  
تاريخ القبول: ٢٠١٩/٨/٤

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي  
Turnitin - passed research



## Abstract

The subject concerns the manifestation of the texts of the prince of the faithful pertinent to the greatest messenger (peace be upon him and his family), the analysis of these texts and their revelation of their contents. The study is divided into an introduction and three chapters .

The first is to study the texts of the Road of Eloquence concerning the purity of the Prophet's Prophet (peace be upon him and his family). The other chapters survey the commencement of the mission. Moreover , the pivotal point is the prophet Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him) in the speeches of The Road of Eloquence to trace the biography of the Noble Prophet ,his qualities and features .

The research study fathoms the purity of the Prophet's birth and the revelation of his pure ancestral dynasty and analyzed these texts and their content that exposes the deteriorating reality , the difficult circumstances before his mission and the divine treatments that change such a reality and set them clear to all .Ultimately ,these texts are also the objectives of the mission of the Holy Prophet (peace be upon him and his family), and most importantly , not only does that his call delimit itself to Arabs , but it is mercy for all the worlds.

## المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، والصلاة والسلام على النبي أحمد، وآله الميامين الخلد.

أما بعد: فمن نعم الله على الإنسان أن تخطَّ يمينه كلمات، يُسطرها في حقِّ أشرف إنسان في الموجودات كلها، منذ خلق الله الوجود إلى غاية منتهاها التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

لقد تشرفت بمولده الأكوان، وختمت برسالته الأديان، وأمر بالصلاة عليه وعلى آل بيته الرحمن، وصدع بفضله الفرقان، ذاك نبي الرحمة والإحسان، رسول الإنس والجان، محمد صاحب القرآن، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

وأن وظيفة اللغة التعبير عمّا في الخلجات المتصورة في نفس كاتبها، المطبوعة في ذهنه طبعاً، المرسومة في ذاته رسماً، أما حين يفتقر الكاتب لمثل هذه الأدوات فلا يبقى له حظٌّ في الوصف إلا على قدر الوسع، ممّا هو نزر في الأداء، فهل يا ترى يُحيط المحدود بغير المتناهي، والعاجز بالكامل، والجاهل بالعالم.

تُكتب هذه السطور على استحياؤك من شمالك وسيرتك العاطرة، يُسعفها أنها تنقل شذرات ممّا قاله أمير المعرفة والبلاغة وقطبها الذي تدور حوله رحاها، إمام الأئمة عليّ أمير المؤمنين ﷺ في نهجه الشريف، في حقِّ مولدك ونسبك الطاهر ووصفِ خلقك وخلقك، فالناقل عالم، والمتن أشرف المتون بعد كلام الله وكلام نبيه الأكرم. فذا نهج البلاغة، الذي وُصف بأنه دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين، جمعه الشريف الرضيّ، وهو عبارة عن خطب الإمام ﷺ ورسائله وكتبه وحكمه، وقد سمّاه (نهج البلاغة)، وهو اسم يدلُّ على مسماه.

والبحت هذا موسوم بـ (( الرسول محمد ﷺ في خطب نهج البلاغة ))، وهو يُعنى بنقل نصوص أمير المؤمنين الواردة في خطبه المختصة ببيان ما يتعلق بالرسول الأكرم، مع تحليل هذه النصوص، والكشف عن مضامينها البيانية. وقد قُسمت مادة البحث على مقدمة وثلاثة مطالب، أولها: درس نصوص نهج البلاغة المتعلقة بطهارة مولد الرسول الأكرم ونسبه الشريف. وثانيها: ضمّ النصوص التي بالكشف عن شئائله. وثالثها: اشتمل على النصوص المتعلقة ببَدْء البعثة.

### وبعد تمام البحث توصل الباحثان إلى ما يأتي:

١. تشبيه الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) بالأصل النبوي المحمدي بالشجرة في أكثر من موضع.
  ٢. ورد في النهج جملة من الآيات والعجائب التي صاحبت ولادة الرسول الأكرم منها كَوْن رَأْسُهُ مرفوعاً وبصره شاخصاً إلى السماء عندما وضعته أمه، وخروج النور معه عند ولادته، وَ تَدَلِّي النُّجُومِ وَظُهُورِ النُّورِ عند ولادته وغيرها من الآيات التي دُرست في طيات البحث.
  ٣. استقصى البحث الكثير من الكمالات والفيوضات الربانية للرسول ﷺ التي وردت على لسان الأمير علي (عليه السلام)، ممَّا يُعَدُّ وثيقة صادقة في أعلى متن من متون التوثيق.
  ٤. بيّن البحث الإنجازات والتحوّلات التي شهدتها الأمة في زمن البعثة النبوية الشريفة باستقراء كلام الإمام (عليه السلام) على المستويات الثلاث العقدية والإنسانية والاجتماعية.
  ٥. بيّن البحث نتائج البعثة النبوية التي وردت في نهج البلاغة إذ كانت نتاجاتها دنيوية وأخروية، أما الدنيوية فمنها المحبة والمودة والعزة والسيادة والأخوة. وأما الأخروية فأهمها الهداية اللازمة للظفر بالآخرة.
- والحمد لله أولاً وآخراً

### المطلب الأول: نصوص النهج في طهارة النسب والمولد:

إنَّ الله تعالى استخلص رسوله من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة، ونجد مصاديق هذا الاجتباء الإلهي لهذه الصفوة من عباده أن (( استودعهم في أفضل مستودع ))<sup>(١)</sup>، وهو أصل الآباء و(( أقرهم في خير مستقر ))<sup>(٢)</sup> أرحام الأمهات، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ سورة الأنعام: ٩٨، ثم استطرّد قائلاً: (( تناسختم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام ))<sup>(٣)</sup>، وتناسخ الأصلاب لهم إلى مطهرات الأرحام، نقلهم إليها نطفاً وكرائم الأصلاب ما كرم منها، وحق الأصلاب سمحت بمثلهم أن توصف بالكرم. ومطهرات الأرحام ما طهر منها وحق لما استعد منها لإنتاج مثل هذه الأمزجة وقبولها أن تكون طاهرة من كرر الفساد<sup>(٤)</sup>.

فأصول الأنبياء من جهة الآباء والأمهات مطهرة عن الشرك وعن أي دنس. وقال النبي محمد ( صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ): (( نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية ))<sup>(٥)</sup> فكان مما خصَّ به أن (( أَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنبِتًا وَأَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرِسًا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَّنَاءُهُ عَثْرَتُهُ خَيْرُ الْعَثَرِ ))<sup>(٦)</sup> (( وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ وَشَجْرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَتِيَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ ))<sup>(٧)</sup>، (( مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ وَ مَنبِتُهُ أَشْرَفُ مَنبِتٍ فِي مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ وَ تَمَاهِدِ السَّلَامَةِ ))<sup>(٨)</sup>، (( كُلُّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فَرَقْتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يَسْهَمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرْبٌ فِيهِ فَاجِرٌ ))<sup>(٩)</sup>، ومما يلاحظ في هذه النصوص تشبيه الإمام علي أمير المؤمنين ﷺ بالأصل النبوي بالشجرة في أكثر من موضع.

وهنا يمكن لنا عقد مقارنة بين الأصل النبوي المشبه بالشجرة الطيبة والأصل الأموي المشبه بالشجرة الخبيثة، من ذلك قوله تعالى: (( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ))، سورة ابراهيم/ ٢٤، فالشجرة الطيبة يُراد بها الأصل النبوي ومهبط

الرسالة، إذ روي عن علي بن إبراهيم القمي بسنده عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (( سألته عن قول الله: (مثل كلمة طيبة الآية) قال: الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، ونسبه ثابت في بني هاشم، وفرع الشجرة علي بن أبي طالب عليه السلام، وغصن الشجرة فاطمة (عليها وعلى الأئمة من أولادها السلام)، وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام، وشيعتهم ورقها))<sup>(١٠)</sup>

على حين أنه يريد بالشجرة الخبيثة في قوله تعالى: ((ومثل كلمة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)) من سورة إبراهيم ١٩٥ بني أمية، الذين أرادوا محو الإسلام بالكامل، وهم أشد أعداء آل البيت يناصبون لهم العدا في السر والعلن . ومراده من هذه النصوص أن الله سبحانه وتعالى أرسله صلى الله عليه وآله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وأيده بالبينات والدلائل على صدقه وأمانته ووسم عليه السلام أسرته ونسبه بخير الأسر والأنساب، لأنه ينحدر من إسماعيل وهاشم وعبد المطلب، إذ ورد عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ))<sup>(١١)</sup>

وذكر عليه السلام أن شجرته خير الشجر يريد أهل بيته ، وقد روي عن ابن عباس أنه قال في شرف النبي وطيب نسبه في تأويل قول الله تعالى من سورة الشعراء: ٢١٩: ( وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ ): (( أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلتك نبياً، وقد كان نور النبوة في آبائه ظاهراً ))<sup>١٢</sup>.

وحكي عن (( كاهنة بمكة يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية، مرّ بها ذات يوم عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد أن يزوجه من آمنة بنت وهب، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فقالت: هل لك أن تغشاني وتأخذ منه مئة من الإبل؟ ... فلما

تزوج آمنه ، وحملت منه برسول الله ﷺ ، مرّ في عوده بفاطمة ، فقال : هل لك فيما قلت : قد كان مرة فالיום لا ، فإذا سبعت ، فقال : زوجني أبي بأمنه بنت وهب الزهرية ، فقالت : قد أخذت النور الذي قد كان في وجهك)) (١٣).

والدليل على مراده قوله: (( أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَتِجَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ )) (١٤) كناية عن الخلق والهداية والاستقامة. إذ نرى ممّا تقدم من نصوص نهج البلاغة حرص الإمام علي عليه السلام على تبيين كرامة الله تعالى للنبي في طهارة جذوره العريقة (١٥) ، كما أشار إلى ذلك الذكر الحكيم: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة التوبة: ١٢٨ ، وقال النبي الأعظم في نسبه: (( نسباً وصهراً وحسباً ، ليس في آبائي من لدن آدم بسفاح كلنا بنكاح )) (١٦) ، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم: ﴿ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ سورة الشعراء: ٢١٩ ، وقال النبي ﷺ في هذا: (( لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات حتى أخرجني الله تعالى في عالمكم هذا )) (١٧) ، فهذا يدل على أن آباءه كلهم كانوا مؤمنين ، إذ لو كان فيهم كافر لما استحق الوصف بالطهارة ، لقوله تعالى: ((إنما المشركون نجس)) ، سورة التوبة: ٢٨ ، فحكم على الكفار بالنجاسة .

أما ولادة النور سيد البشرية فكانت بمكة يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول ، وهجرته بطيبة وهي يثرب ، وأطلق عليها يزيد بن معاوية (لعنها الله) اسم خبيثة ، عناداً للنبي الرحمة والإنسانية. وفي طيبة علا ذكر الرسول ﷺ وفتحت له أبواب جديدة لنشر دعوته فأسلم أهلها ، ومنها امتد الإسلام إلى سائر البلدان شرقاً وغرباً ، ومن المعلوم أن إرسال النبي محمد ﷺ إلى البشرية كان مصحوباً بحجة قوية وهي القرآن الكريم وبه أظهر الشرائع المجهولة ، أي: أحكام التوراة والإنجيل التي حرفها الكهنة والملوك من أهل الكتاب وقمع به الوثنية والرهبانية ، إذ كانت الوثنية انذاك تعني عبادة الأحجار والأخشاب ، وقد أشار القرآن الكريم الى جذور النبي

الأعظم بقوله: (( لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ )) سورة التوبة: ١٢٨.

فالرسول عربي قرشي معروف النسب، لم يطعن أحد في صحة نسبه، وكرم محته، فمخاطبة الله تعالى للعرب بأن الرسول من أنفسهم، تذكير لهم بأنه لهم ناصح ومحب، وعليهم مشفق، وعلى هدايتهم حريص، وأنه بهم رفيق وعليهم مشفق، يشق عليه ضلالهم ويفرح لهدايتهم، ووردت أحاديث كثيرة تبين بعض مظاهر الرحمة المهداة، والمتمثلة بالمصطفى عليه الصلاة والسلام، فمن ذلك وفاته ﷺ قبل أمته ليكون لها سلفاً، ففي الحديث: ((إن الله عز وجل)) إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها، ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره))<sup>(١٨)</sup>. وعن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله، إن قريشاً جلسوا، فتذكروا أحسابهم وأنسابهم، فجعلوا مثلك مثل نخلة نبتت في ربوة من الأرض قال: فغضب رسول الله ﷺ، وقال: ((إن الله عز وجل حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه، ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلتهم، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم أباً، وخيرهم نفساً))<sup>(١٩)</sup>، ونجد مصداق هذا في قول الإمام علي عليه السلام: ((أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فأخرجه من أفضل المعادين منبتاً، وأعز الأصول مغرساً من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتجب منها أمناه، وعثرته خير العثر، وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم وبسقت في كرم))<sup>(٢٠)</sup>، وفي النص الشريف ثمة استعارة، إذ استعار ﷺ المنبت والمغرس لطينة النبوة، التي ولد منها النبي<sup>(٢١)</sup>، يريد أن تلك المادة منشأ مثله، كالارض التي هي معدن الجواهر ومغرس الشجر الطيب. وقد صاحبت ولادته ﷺ جملة من الآيات

والعجائب منها كَوْنُ رَأْسِهِ مَرْفُوعاً وَبَصْرُهُ شَاخِصاً إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَمَا وَضَعْتَهُ أُمَّهُ،  
 وخروج النور معه عند ولادته، وَتَدَلَّى النُّجُومُ وَظَهَّرَ النُّورَ عِنْدَ وِلَادَتِهِ حَتَّى مَا  
 تَنْظُرُ إِلَّا النُّورَ، وَقَوْلُهُ رَحِمَكَ اللَّهُ عِنْدَمَا سَقَطَ ﷺ عَلَى يَدَيِ الشَّافِئِ أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 وَأَضَاءَ لَهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ الرُّومِ. وَمَا حَلَّ بِحَلِيمَةَ  
 وَزَوْجَهَا ظُرَاهُ مِنْ بَرَكَةِ عِنْدَمَا تَعَرَّفَتْ عَلَيْهِ وَدَرُورَ لَبْنِيهَا لَهُ وَلَبْنِ شَارِفِهَا وَخَصْبِ  
 غَنَمِهَا وَسُرْعَةِ شَبَابِهِ وَحُسْنِ نَشَأَتِهِ، إِذْ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ يَدْفَعُوا أَوْلَادَهُمْ  
 عِنْدَ وِلَادَتِهِمْ إِلَى مَرَضِعَاتٍ يَعِشْنَ فِي الْبَادِيَةِ؛ لَكِي يَبْعُدُوهُمْ عَنِ الْأَمْرَاضِ الْمُنْتَشِرَةِ  
 فِي الْحَوَاضِرِ، وَلِتَقْوَى أَجْسَادَهُمْ، وَلِيَتَقَنُوا لُغَةَ الْعَرَبِ الْفَصِيحَةَ فِي مَهْدِهِمْ وَلِذَلِكَ  
 دَفَعَتْ أَمْنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ وَوَلِيدَةَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى حَلِيمَةَ (٢٢) وَمِنْ  
 بَرَكَاتِ كَلِمَةِ مَوْلِدِهِ ارْتِجَاجُ إِيْوَانِ كَسْرَى وَسُقُوطُ شُرَفَاتِهِ وَعَيْضُ بُحَيْرَةِ طَبْرِيَّةِ (٢٣)،  
 وَمِنْ هُنَا نَجِدُ الْإِمَامَ ﷺ يُوَسِّمُهُ بِأَنَّهُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنَّهُ كَانَ مُحِطاً بِنُظْرَةِ عِنَايَةِ اللَّهِ  
 عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ طِفْلٌ بِقَوْلِهِ: ((وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ لَدُنْ أَنْ  
 كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْأَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ  
 لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ (٢٤))، وَهَذَا النَّصُّ نَسْتَشْفِ عَنِ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي احْتَاطَ بِهَا بِالرُّسُولِ  
 الْكَرِيمِ وَالَّتِي تَتَجَلَّى مَظَاهِرُهَا بِوَضُوحٍ بِمَا خَصَّه مِنْ آيَاتٍ وَمَعْجَزَاتٍ.

### المطلب الثاني: نصوص النهج في شمائل الرسول الأكرم:

إنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ كان قدوة لجميع أفراد بني آدم، فضلاً عن أنه أسوة لجميع طبقات البشر، بما مثلته حياته من أعمال كثيرة وعظيمة، مكنته أن يكون صاحب المنهج الأعلى والأسوة الصالحة، للحياة الإنسانية جمعاء؛ لكونه جمع بين أمور نبيلة لا تتسنى لأي أحد من عادات حسنة، وأخلاق عالية، ونوازع عظيمة عميقة. لذلك دعا الإمام علي ﷺ الناس للاقتداء به في خطبة يقول فيها: (( لقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كافٍ لك في الإسوة ))<sup>(٢٥)</sup>، وقوله ﷺ في موضع آخر (( فتأسَّ بنبيك الأطيب الأطهر ))<sup>(٢٦)</sup> كان الغرض منها حثَّ الناس على الزهد متخذاً من الرسول محمد ﷺ مثلاً أعلى في الزهد والزاهدين وذلك بتبيين حقيقة الدنيا وأنها تطلب الجهد والتعاون وسيلة لتأمين الحياة وتوافر أسبابها للجميع، وأن عبادة المال من دون الله تؤدي إلى سيطرة الفساد والشر وإشاعة الأحقاد والأضغان. وتناول ﷺ في موضع آخر سيرة أنبياء أربعة، وكيفية تعاطيهم مع الدنيا تأكيداً على عيوبها ومخازيها وشهواتها وزينتها، وأول هؤلاء الأربعة محمد ﷺ بقوله: (( إذ قُبِضت عنه أطرافها ))<sup>(٢٧)</sup>، بمعنى هو الذي قبض يده عن الدنيا وفطم نفسه عن رضاعها، فقد كانت أموال الجزيرة في يده غير أنه أثر الناس على نفسه، وعاش عيشة الأسر الفقيرة زهداً في الدنيا، وتحقيراً لها، وما تحقيره هذا وزهده في الدنيا إلا تواضع لله سبحانه وتعالى، وتواضعه هذا نابع من طبعه وطابعه وشخصه الكريم، الذي لا مجال فيه لتصادم الميول والزواجر وتغلب المشاعر على العقل<sup>(٢٨)</sup>.

وفي موضع آخر تكلم على حياة النبي الخاصة وتصرفاته مع أهله، يقول الإمام ﷺ: (( يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْفَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ))، و: (( قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا )): أي ما أصاب منها إلا بقدر الحاجة والضرورة إذ كَانَ ﷺ أَعْفَى النَّاسِ، وَأَسْخَى النَّاسِ، لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، لَا يَبِيتُ عِنْدَهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ فَضَلَ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُعْطِيهِ

وفجأه الليل، لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه. لا يأخذ مما أعطاه الله إلا قوت عامه فقط، فيؤثر منه. و(( ولقد كان يأكل على الأرض ))، إذ مما ورد في كتب السيرة أنه كان طعامه لا يرد موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً، وأنه كان يشدُّ على بطنه حجراً من المجاعة، وكان قدحه من خشب غليظ ويسقي أصحابه، مبتدئاً من يمينه أيّاً من كان على يساره، وكان يحب النظافة وحسن المظهر<sup>(٢٩)</sup>. كَانَ ﷺ خلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، وَكَانَ لَا يَغْضِبُ لِنَفْسِهِ قَطُّ، وَلَا يَنْتَقِمُ لَهَا، فَإِنْ انْتَهَكَتْ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى انْتَقَمَ اللَّهُ، وَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ لِعُضْبِهِ، أَسْخَى النَّاسَ وَأَجُودَهُمْ، مَا قَالَ لِمَنْ سَأَلَهُ شَيْئاً (لَا) قَطُّ، أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْفَاهُمْ ذِمَّةً، وَالْيَنُومَ عَرِيكَةً، وَأَكْثَرَهُمْ حَيَاءً خَافِظَ الطَّرْفِ، نَظَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، كَانَ مَتَوَاضِعاً، رَحِيماً، مَشْفِقاً عَفِيفاً، مُتَفَقِداً لِأَصْحَابِهِ، كَثِيرَ التَّوَدُّدِ لِلْيَهْمِ، مَكْرَماً لَهُمْ، يَقْبَلُ مَعذِرَةَ مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، الْقَوِي وَالضَّعِيفَ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، لَا يَتَرَفَعُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَكَانَ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ. وَكَانَ يَجْلِسُ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ، وَكَانَ يَغْفُو وَيَصْفَحُ، وَيَعُودُ الْمَرْضَى، وَيَشْهَدُ الْجُنَائِزَ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ، وَلَا يَحْقِرُ فَقِيراً لِفَقْرِهِ، وَلَا يَهَابُ مَلِكاً لِمَلَكِهِ، يَعْظُمُ النُّعْمَةَ وَإِنْ قَلَّتْ، مَا عَبَّ طَعَاماً قَطُّ، يَحْفَظُ الْجَارَ، وَيُكْرِمُ الضَّيْفَ، وَيُخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ بِيَدِهِ، وَيَرْكَبُ الْفَرَسَ وَالْبَغْلَ وَالْحِمَارَ، وَلَمْ يَكُنْ مُتَكَبِراً وَلَا مُتَجَبِّراً، يَرْدِفُ خَلْفَهُ عَبْدَهُ أَوْ غَيْرَهُ، وَكَانَ أَكْثَرَ جُلُوسِهِ إِلَى الْقِبْلَةِ، يُطِيلُ صَلَاتَهُ وَيَقْصُرُ خُطْبَتَهُ<sup>(٣٠)</sup>، ((ولا يعتقدها قراراً))<sup>(٣١)</sup> بل يعامل الدنيا كما هي في واقعها من دار ممر لا دار مقر. و(( حتى أوري قبساً لقباس ))<sup>(٣٢)</sup> أعطى محمد ﷺ الهداية لكل من ينشدها، تماماً كالقرآن الكريم الذي وصفه سبحانه بأنه ((هدى للمتقين)) أي: لمن أراد أن يتقي الله حقاً وصدقاً، أما المكابر المعاند فلا ينتفع بواعظ وواعظة ((وأنار علماً لحابس))<sup>(٣٣)</sup> دلّ التائه الحائر إلى نهج السبيل ((فهو أمينك المأمون))<sup>(٣٤)</sup> على وحيك ((وشهيدك يوم

الدين))<sup>(٣٥)</sup> على خلقك (( وبعينك بالحق ))<sup>(٣٦)</sup> كبرى يجب شكرها على عبادك (( ورسولك إلى الخلق))<sup>(٣٧)</sup> ، يحرص على خير الجميع و سعادتهم، من غير فرق بين أوليائه و أعدائه. (( اللهم اقسم له مقسما من عدلك ))<sup>(٣٨)</sup> و عدل الله كائن لا محالة ، ولكن غرض الإمام من هذا الدعاء تعظيم رسول الله، مع الإيحاء إلى أنه عظيم عند الله بموجب عدله سبحانه، الذي أشار إليه بقوله سبحانه: (( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره )) الزلزلة: ٧، فكيف بمن أخرج الناس من الظلمات إلى النور (( واجزه مضاعفات الخير من فضلك ))<sup>(٣٩)</sup> ، ضاعف اللهم الأجر لنيك أضعافاً مضاعفة، حتى لا يدانيه في ذلك أحد من أهل السموات والأرض (( اللهم أعل على بناء البانين بناءه ))<sup>(٤٠)</sup> ارفع شأنه فوق كل شأن دنيا وآخرة، ( وأكرم لديك منزلته ))<sup>(٤١)</sup> من الكرامة التي أعدتها للصفوة النازلين في رحابك (( وشرّف عندك منزلته ))<sup>(٤٢)</sup> ، فقد تحمّل الكثير في سبيل إعلاء كلمتك (( وآته الوسيلة ))<sup>(٤٣)</sup> ، التي يبلغ بها الدرجات العلى (( وأعطه السناء والفضيلة ))<sup>(٤٤)</sup> أي: الدرجة الرفيعة في كل فضل وخير . (( واحشرنا في زمرة ))<sup>(٤٥)</sup> . و كل مسلم يحشره الله في زمرة نبيه إذا عاش معه في أهدافه وأقواله وأفعاله ، أما من يعلن اسمه على المنابر والمآذن ، و يقيم في مولده الحفلات ، ثم يتعد و ينقطع عن سنته و شريعته، فإن الله سبحانه يبعده في الآخرة عن نبيه كما ابتعد عنه في الدنيا و نكث عهده ، و نكب عن طريقه ، و افتتن بالأباطيل والأضاليل.<sup>(٤٦)</sup> إذ كَانَ ﷺ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، كَمَا وَصَفَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: (( وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ )) سورة القلم: ٤ .

ومما اختص به النبي محمد ﷺ مقام الشهادة ، فقد وصفه الإمام علي عليه السلام بقوله: (( شهيداً وبشيراً ونذيراً ))<sup>(٤٧)</sup> ، وقوله: (( شاهداً على الخلق ))<sup>(٤٨)</sup> ، (( وشهيدك يوم الدين ))<sup>(٤٩)</sup> يريد بها الشهادة على الخلق يوم الدين، وقد جسّد هذا المعنى القرآن الكريم خير تجسيد في قوله تعالى: (( وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا )) سورة النحل:

من الآية ٨٤، و: (( وَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا )) سورة النحل: من الآية ٧٥. ونجد هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: (( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا )) سورة الأحزاب: ٤٥. فكلّ نبي سيشهد على أمته، والشهادة تستوجب أن يكون الشاهد على علم بحقائق الأعمال التي سيشهد عليها<sup>(٥٠)</sup> وكذلك خاتمة المقام، إذ وردت الإشارة إلى الخاتمة في خطب أمير المؤمنين ﷺ بقوله: (( خاتم رسله ))<sup>(٥١)</sup>، (( ختم به الوحي ))<sup>(٥٢)</sup>، (( بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لإنجاز عدته وتمام نبوته ))<sup>(٥٣)</sup> (( لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ ))<sup>(٥٤)</sup>، إشارة إلى النبوة ختمت برسول الله ﷺ، وأن لا خبر بعده من السماء، لأن الله سبحانه وتعالى يَبْنِي للناس كل ما أراد أن يقوله، وأيضا مسألة الخاتمة تناوها القرآن الكريم في غير موضع نحو قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ سورة الأحزاب: من الآية ٤٠، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ سورة الأعراف: من الآية ١٥٨.

ومما اختلف به الله سبحانه وتعالى نبيه أيضاً، العدل في الحكم والمعاملة وهو ما عرّف عنه الإمام ﷺ بقوله: (( سيرته القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل ))، فالعدل أساس الملك وركن الدولة. ومن صفاته صلى الله عليه وآله وسلم تواضعه وزهده وهذا الصفة عبر عنها الإمام علي ﷺ في النهج الشريف بقوله: (( قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا ، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا ، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا ، وَأَخْضَمُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا ، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبْنًا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَعَظِيمًا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَيُخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَكُونُ

السُّرُّ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فَلَانَةُ لِإِخْدَى أَرْوَاجِهِ عَيْبِهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا وَلَا يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وَعَيْبَهَا عَنِ الْبَصْرِ وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يُدْلِكُ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وَزُويَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ فَتَأَسَّى مُتَأَسِّسٍ بِنَبِيِّهِ وَاقْتَصَصَ أَثْرَهُ وَوَلَّجَ مَوْلَجَهُ)) (٥٥).

مما تقدم نستنتج أن الله سبحانه وتعالى منح نبينا ﷺ من كمالات الدنيا والاخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده ، فسائر الأخلاق العلية والاداب الشرعية من: الدين، والعلم، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والمودة، والوقار، والرحمة، وحسن الأدب، والمعاشرة وأخواتها، وهي التي يجمعها حسن الخلق (٥٦). ومن جميل قوله ﷺ في هذه المعاني: (( إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا ، وفقهه في الدين، وبصره عيوبها، ومن أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة )) (٥٧)، ومنه أيضاً قوله ﷺ: (( إن ربي عز وجل عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يارب، أجوع يوماً، وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك )) (٥٨).

فإذا نظر ناظر وتمعن متمعن في خصال الكمال، التي هي غير مكتسبة وفي جبلّة الخلق، وجدته عليه الصلاة والسلام حائزاً لجميعها، محيطاً بشتات محاسنها. فأما الصورة وجمالها، وتناسب أعضائه في حسننها، فقد جاءت الآثار الصحيحة في

أنه صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم النبيين وسيد المرسلين، وآتاه الله علم الأولين والآخرين، وفضّله على سائر الخلق أجمعين، خصّه بمناقب لا يحصيها أحد من العالمين، فكيف وهو الذي أظهر هذا الدين القويم، وأثار هذا الصراط المستقيم، فكلُّ فضل منسوب إلى فضله، وكلُّ علم مستفاد من علمه ونبله (٥٩).

### المطلب الثالث: نصوص النهج في بدء بعثة الرسول ﷺ

تتعدد نصوص نهج البلاغة المتعلقة ببعثة النبي وظروفها، فقد بُعث في قوم كانوا أبعد الناس عن الحق، يعيشون في ظلمات الجهل والضلال، يتقاتلون فيما بينهم، وخير ما يصف حالهم هذه، حديثه ﷺ: ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا؛ كلُّ مالٍ نحلته عبداً حلالاً، وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)) (٦٠)، فحديث الرسول ﷺ أقوى شاهداً على تردي أوضاع البشرية قبل البعثة ومقت الله تعالى لهم إذ كانت الدنيا غارقة في ظلام الجهل، وساء الجزيرة العربية تلفها سُحُبُ الجاهلية السوداء، وفي ذلك المحيط الصاخب بالضلال والانحراف والحروب الدامية، والنهب والسلب، وأد البنات، وقتل الأولاد، وموت الضمير وانحلال الأخلاق. في مثل هذا الزمن بالذات أطلت شمس السعادة، وأضاءت محيط الجزيرة العربية، وأشرقت الدنيا بأنوار الرحمة الإلهية، فكانت البعثة النبوية الشريفة التي تجسدت فيها كلُّ معاني رحمة الله تعالى بعباده. فقد بعث الله سبحانه وتعالى نبيه الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ رحمةً للعالمين جميعاً، وليس لأهل مكة، أو أهل الجزيرة العربية أو المسلمين وذلك بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

وخصه الله تبارك وتعالى بهذه الكرامة ليكون التجسيد الحقيقي لهذه الرحمة، التي تظهر بأشكال وعنوانات مختلفة، ويكفي النبي ﷺ منها أنه كان عنوان الأمان لأهل الأرض من عذاب الله تعالى عند أيِّ معصية وذنوبٍ يرتكبونه ويكون مستوجباً للقضاء على الناس، كما حصل في تاريخ الأمم التي عصت الأنبياء والرُّسل من أمثال عادٍ وثمود وغيرهم، وفي ذلك نقل عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: ((كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمْ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالْأَسْتِعْفَاؤُ))، قَالَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): (وَمَا كَانَ

الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ((سورة الأنفال: ٣٣).  
وفي ذلك قال الإمام علي عليه السلام: (( أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ  
مِنَ الْأُمَّمِ ، وَاعْتِزَامِ مِنَ الْفِتَنِ ، وَانْتِشَارِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَلَطُّ مِنَ الْحُرُوبِ وَالذُّنْيَا  
كَاسِفَةُ النُّورِ ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفَرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا ،  
وَاعْجَازٍ مِنْ مَائِهَا. قَدْ دَرَسَتْ مَنْارُ الْهُدَى ، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الْوَرَى ، فَهِيَ مُتَّجِهَةٌ  
لِأَهْلِهَا ، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا )) (٦١).

وذكر الإمام علي عليه السلام أداء النبي محمد ﷺ لهذه المهمة بقوله: (( وَقَبِصَ نَبِيَّهِ ﷺ  
وَقَدْ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ ، فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ ،  
فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْماً  
بَادِيًا )) (٦٢).

وقد ذكر الإمام علي عليه السلام التغيرات التي طرأت على حياة العرب التي أوجدها  
النبي محمد ﷺ ، بعد وصفه لحالهم قبل البعثة كما تقدم ذكره بقوله: (( إِنْ اللهُ بَعَثَ  
مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً ،  
فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ ، فَاسْتَقَامَتْ فَنَاتُهُمْ وَأَطْمَأَنَّتْ  
صَفَاتُهُمْ )) (٦٣). وهنا لا بد من الإشارة إلى ما ذكره الكاتب محمد علي في إبراز أثر  
الرسول الأكرم في إحياء العرب من غفلتهم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، على  
جميع المستويات العقدية والإنسانية والاجتماعية، فعلى المستوى العقدي، نقلهم  
النبي ﷺ من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد، بعد أن كانوا في ضياع وتيه  
وضلال وانحراف، وليس لهم علم للهداية. وفي ذلك تحدت مولانا علي عن عظمة  
الرسول الأكرم في نشر الوحدانية الإسلامية في بلاد العرب وقضائه على الوثنية،  
يقول محمد علي في ذلك: (( من حضيض هذه الوثنية المخزية، انتشل الرسول محمد  
عليه السلام بلاد العرب كلها، في فترة من الزمان القصير لا تعدو عشرين عاماً. إنَّه لم يستأصل  
الوثنية من بلاد العرب استئصالاً نهائياً فحسب، بل أضرَم في قلوب أولئك العرب

أنفسهم شرارة من الحماسة لوحداية الله، دفعتهم إلى الانطلاق بعيداً في إرجاء العالم المعروفة آنذاك لرفع راية الإله الواحد. وهذا الفطام لبلد برمته - يمتد على مساحة هائلة مقدارها مليون و مئتا ألف ميل مربع - عن لعنة الوثنية التي كانت تهيمن عليه هيمنة مطلقة نتيجة الإرث والتقاليد الراسخة، في مدة لا تتجاوز خمسة قرون، بحيث اكتسب ذلك البلد لقب (محطم الأوثان) المشرف، أقول أليس هذا الفطام هو أعظم معجزة قدر للعالم أن يشهدها في تاريخه كله؟ إلا يستحق الرجل الذي أحدث هذا التحول التقدمي لقب (خير الأنام)، استحقاقاً لا مرء فيه ((<sup>٦٤</sup>).

وفي هذا قال الإمام علي (عليه السلام): (( أرسله وأعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة ))<sup>(٦٥)</sup>. وقال (عليه السلام): (( بعثه حين لا علم قائم، ولا منارٌ ساطع، ولا منهجٌ واضح ))<sup>(٦٦)</sup>. ومن ثمار بعثته على المستوى الاجتماعي أنه كان الحاكم فيهم في تلك الفترة قيم الجاهلية وأحكامها كما يقول وليم موير في كتابه حياة محمد: (( كانت أولى الخصائص التي تلفت انتباهنا إذن، هي انقسام العرب إلى جماعات لا تُعدُّ ولا تُحصى، خاضعة لقانون في الشرف والأخلاق واحد، وتمسكة بأهداب عادات واحدة، ومتحدثة في الأعم الأغلب بلغة واحدة، ولكن كلاً منها مستقلة عن الأخرى. كانت تلك الجماعات لا تعرف طمأنينة ولا استقراراً، وكثيراً ما نشبت الحروب بينها، وحتى لو اتفق أن جمعتهما رابطة الدم أو رابطة المصلحة فسرعان ما كانت تنفرق لأتفه الأسباب، وتستسلم لعداواتها الحقود... و كان لا بُدَّ لهذه المشكلة من أن تحلَّ عن طريق أيما قوة، توفَّق إلى إخضاع العرب أو جمع شملهم، و لقد حلَّ محمد المشكلة ))<sup>(٦٧)</sup>.

وفي هذا قال الإمام علي (عليه السلام): (( إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَ فِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ حُشِنٍ وَ حَيَاتٍ صُمِّ تَشْرِبُونَ الْكَدِرَ، وَ تَأْكُلُونَ الْجَشِبَ وَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ تَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ... ))<sup>(٦٨)</sup>.

لقد قضى النبي ﷺ على كل هذه القيم الجاهليّة، ونقلهم إلى مصاف الأمم الراقية، فامتلكوا الحضارة والعلم، وسادوا الأمم. ثم ما لبثوا أن وقعوا في الذلّة والمهانة، عندما تركوا دينهم وإرثهم ورسالة نبيهم ﷺ. وكان نتاجه ﷺ على المستوى الإنسانيّ يظهر جلياً ببعثته، فكانت بعثته النبوية محطة إضاءة في حياة العرب، إذ كانت شعوب الجزيرة العربيّة تعيش حالة الغربة ويغمرها الظلام، فجاء محمد بن عبد الله ﷺ، ليكون كما قال الإمام عليّ (عليه السلام): ((أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفو الجافية)) (٦٩).

وفي خطبة أخرى له (عليه السلام) قال: ((دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّعَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الشَّوْائِرَ، أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ)) (٧٠) وقال (عليه السلام): ((ابتعثه بالتور المضىء والبرهان الجليّ والمنهاج البادي والكتاب الهادي)) (٧١). وتحدث القس لوزون في كتابه (الله في السماء) عن الانقلاب المنتظر الذي قاده الرسول ﷺ، بقوله: ((لقد بعث محمد رسولاً إلى العرب وعاشت بلاد العرب الأزمان الطويلة عاكفة على عبادة الأصنام، وتوغلت في ذلك حتى احتاجت إلى انقلاب ديني عظيم)) (٧٢). وهكذا كان النبي محمد (ﷺ) هذا الرسول، الذي تمكّن في المرحلة المقبلة بفضل كفاحه الإنساني الميرير أن يحقق ذلك النجاح العظيم، والتحول الكبير ليس في الجزيرة العربية وحسب، بل على الصعيد العالمي أيضاً. وكانت تلك اللحظات التي بعث الله تعالى فيها رسوله الكريم رحمةً وهدايةً وخيراً ونوراً. فلتكن كلّ اللحظات التي بعدها إلى قيام الساعة، فرصةً ثمينة للاستفادة من شعاع النور الذي أظلنا الله تعالى به ببركة النبي وآله المعصومين الأخيار (٧٣).

ولقد عرف عن النبي (ﷺ) أنه كان دائم الاعتكاف، يتأمل في سر الوجود، حُبب إليه الخلوة والتحنث، يقضي الأيام الطوال في العزلة والتعبد (٧٤).

## الخاتمة:

وصل البحث إلى النتائج الآتية :

1. استقرى البحث نصوص نهج البلاغة التي تحدّث فيها أمير المؤمنين علي عليه السلام عن طهارة مولد الرسول صلى الله عليه وآله، والكشف عن سلالة آبائه الطاهرة، وحلّل البحث هذه النصوص وما فيها من لمسات بيانية، كاستعمال التشبيه بين النسب والشجرة الطيبة، وعضّد ذلك بآيات قرآنية في المقام نفسه.
2. نقل البحث بعض نصوص النهج التي تصف شمائل الرسول الأكرم ومحاسنه الخلقية والخلقية، كتناسق أعضاء جسده، واستقامتها في أحسن تقويم، والكشف عن عاداته الحسنة، وأخلاقه العالية، وزهده، وحسن تعامله مع أهل بيته، ورحمته للعالمين.
3. بيّنت نصوص النهج التي اقتبسها البحث الواقع المتردي والظروف الصعبة قبل بعثته صلى الله عليه وآله، والمعالجات الإلهية التي غيرت هذا الواقع وانتقلت به إلى مصاف المجتمعات الراقية، ووضحت هذه النصوص أيضاً أهداف بعثة الرسول الأكرم، ومن أهمها أنّ دعوته لم تقتصر على العرب فقط بل هو رحمة للعالمين جميعاً.

### الهوامش

- ١- خ ٩٣ / ١ - نهج البلاغة: ١٥٠
- ٢- المصدر نفسه: ١٤٩ / خ ٩٣
- ٣- المصدر نفسه: ١٤٩ / خ ٩٣
- ٤- شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني: ٥٢٥ / ٢
- ٥- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ٦٣ / ٧
- ٦- نهج البلاغة: ٢٣٠ / خ ١٦١ - ٦
- ٧- المصدر نفسه ٢٣٠ / خ ١٦١
- ٨- نهج البلاغة ١٦٥ / خ ٩٥
- ٩- نهج البلاغة: ٣٣٥ / خ ٢١٤
- ١٠- بحار الأنوار: ١٨٣ / ٢٤
- ١١- صحيح مسلم: ٢٢٧٦
- ١٢- بحار الأنوار ١٥ / ١٢٢.
- ١٣- الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي: ٧
- ١٤- نهج البلاغة: / ٢٣٠ خ ١٦١ - ١٤
- ١٥- في ظلال نهج البلاغة: ٤٤١ / ٢ - ١٥
- ١٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ١٥، الخصائص الكبرى: ١ / ٣٨١
- ١٧- غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ١٠٣ / ٣ - ١٧
- ١٨- نبي الرحمة: ٢ / ٦٣٥
- ١٩- دلائل النبوة للافهاني: ٥٧
- ٢٠- نهج البلاغة: ١٤٩ / خ ٩٣
- ٢١- ٤١٤ - ٤١٣ ينظر: شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني: - ٢١
- ٢٢- السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري ١ / ١٠١ ينظر: - ٢٢
- ٢٣- ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٣٦
- ٢٤- نهج البلاغة ٢٩٨ / خ ١٩٢ . ٢٤ -
- ٢٥- المصدر نفسه: ٢٢٧ / خ ١٦٠
- ٢٦- المصدر نفسه: ٢٢٨ / خ ١٦٠ - ٢٦
- ٢٧- نهج البلاغة: ٢٢٨ / خ ١٦٠ - ٢٧

- ٢٨- ٤٣٧/٢-٤٣٨ ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢٨-  
٢٩- المختصر الكبير في سيرة الرسول: ٧٣  
٣٠- غاية السؤل في سيرة الرسول: ٤٠-٣٠  
٣١- ٢٢٨/خ ١٦٠ نهج البلاغة: ٣١-  
٣٢- المصدر نفسه: ٩٩/خ ٧١-٣٢  
٣٣- المصدر نفسه: ٩٩/خ ٧١ ٣٣  
٣٤- المصدر نفسه: ٩٩/خ ٧١ ٣٤  
٣٥- المصدر نفسه: ٩٩/خ ٧١  
٣٦- المصدر نفسه: ٩٩/خ ٧١  
٣٧- المصدر نفسه: ٩٩/خ ٣٧٧١  
٣٨- المصدر نفسه: ١٦٣/خ ١٠٥ ٣٨-  
٣٩- نهج البلاغة ١٦٣/خ ١٠٥- ٣٩  
٤٠- المصدر نفسه: ١٦٣/خ ١٠٥-٤٠  
٤١- المصدر نفسه: ١٦٣/خ ١٠٥-٤١  
٤٢- المصدر نفسه: ١٦٣/خ ١٠٥-٤٢  
٤٣- المصدر نفسه: ١٦٣/خ ١٠٥  
٤٤- المصدر نفسه: ١٦٣/خ ١٠٥-٤٤  
٤٥- المصدر نفسه: ١٦٣/خ ١٠٥  
٤٦- في ظلال نهج البلاغة: ١/١٢٢-١٢٤ ٤٦-  
٤٧- نهج البلاغة: ١٦٠/خ ١٠٤  
٤٨- نهج البلاغة: ١٨١/خ ١١٥ ٤٨-  
٤٩- المصدر نفسه: ١٦٣/خ ١٠٥  
٥٠- محاضرات في الإلهيات: ٦٣٣- ٥٠  
٥١- نهج البلاغة: ١٧٧/خ ١٢٣  
٥٢- المصدر نفسه: ١٩٧/خ ١٣٣  
٥٣- المصدر نفسه: ٥٦/خ ١٤٥  
٥٤- المصدر نفسه: ٣٤٩/خ ٢٣٤  
٥٥- ٢٢٨/خ ١٦٠ نهج البلاغة: ٥٥-  
٥٦- ٢٤٤: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين-٥٦  
٥٧- منهاج البراعة: ٧/٣٤٧

- ٥٨- المصدر نفسه: ٣٧٥/٧
- ٥٩- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: ٢٥١-٥٩
- ٦٠- صحيح مسلم ٢١٩٧/٤
- ٦١- ١٢٦/خ ٨٨ نهج البلاغة: -٦١
- ٦٢- المصدر نفسه: ٢٦٦/خ ١٨٣-٦٢
- ٦٣- نهج البلاغة: ٦٨/خ ٣٣-٦٣
- ٦٤- مولانا محمد علي : حياة محمد ورسالته ، ص ٢٣-٢٤
- ٦٥- نهج البلاغة: ٣٠٦/خ ١٩٥
- ٦٦- المصدر نفسه: ٣٠٨/خ ١٩٦-٦٦
- ٦٧- وليم مور : حياة محمد.
- ٦٨
- ٦٩- نهج البلاغة: ٥٧/خ ٢٦-٦٩
- ٧٠- المصدر نفسه: ٢١٢/خ ١٥١
- ٧٠- المصدر نفسه: ١٥٠/خ ٩٥
- ٧١- المصدر نفسه: ٢٣٠/خ ١٦١-٧٢
- ٧٢
- ٧٣- وليم مور : حياة محمد.
- ٧٤- الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة: ٢٥-٧٤

### ثبت المصادر.

- القرآن الكريم
١. أعلام النبوة: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهرير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٠٩ هـ
  ٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي، احياء الكتب الإسلامية.
  ٣. الخاوي الكبير في فقه مذهب لإمام الشافعي شرح مختصر المزني: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهرير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
  ٤. حياة محمد و رسالته: مولانا محمد علي اللاهوري القادياني (١٨٧٤ - ١٩٥١ م) ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي (ت ١٤٢٠ هـ) الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٠ .
  ٥. الخصائص الكبرى: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت سنة النشر، د.ت.
  ٦. دلائل النبوة لابي نعيم الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ) حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس الناشر: دار النفائس، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
  ٧. الرسول محمد في الدراسات الاستشراقية المنصفة (بحث): محمد شريف الشيباني، موقع صيد الفوائد.
  ٨. السيرة النبوية الصحيحة :لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة التاسعة، سنة النشر: ١٤١٥ - ١٩٩٤ .
  ٩. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ م .
  ١٠. شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم ابن علي ابن ميثم البحراني المتوفى (٥٦٧٩هـ)، دار الثقلين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ .
  ١١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى : مذيل بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني (المتوفى: ٨٧٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م
  ١٢. صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .
  ١٣. غاية السؤل في سيرة الرسول: عبد

- الباسط بن خليل بن شاهين الملقب (المتوفى):  
 ٩٢٠هـ)، المحقق: دكتور محمد كمال الدين عز  
 الدين علي الناشر: عالم الكتب - بيروت - لبنان  
 الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨.
١٤. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام  
 الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي  
 النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ  
 زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت،  
 الأولى - ١٤١٦هـ.
١٥. في ظلال نهج البلاغة: الشيخ محمد  
 جواد مغنية، مطبعة ستار، دار الكتاب  
 الإسلامي، ٢٠٠٥، ط ١.
١٦. نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام): جمعه  
 الشريف الرضي، تقديم وشرح محمد عبده،  
 مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٦، ط ١
١٧. محاضرات في الإلهيات: آية الله السيد  
 جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم  
 المقدسة، الطبعة الثامنة، ١٣٢١هـ.
١٨. المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى  
 الله عليه وسلم المؤلف: عبد العزيز بن محمد  
 بن إبراهيم، (المتوفى: ٧٦٧هـ) المحقق: سامي  
 مكّي العاني الناشر: دار البشير - عمان الطبعة:  
 الأولى، ١٩٩٣ م.
١٩. مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر  
 بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر  
 الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)  
 الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت  
 الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ
٢٠. نبي الرحمة الرسالة والإنسان: محمد  
 مسعد ياقوت، القاهرة، الزهراء للإعلام  
 العربي الطبعة الأولى، ٢٠٠٧. منهاج البراعة  
 في شرح نهج البلاغة: قطب الدين أبي الحسين  
 سعيد بن هبة الله الراوندي، تحقيق: السيد عبد  
 اللطيف الكوهكمري، الناشر: منشورات مكتبة  
 آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى.  
 ٢١. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين:  
 محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ  
 الحضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ) الناشر: دار  
 الفيحاء - دمشق الطبعة: الثانية - ١٤٢٥هـ